دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الآثار التربوية للحج
المصدر:	الوعي الإسلامي
الناشر:	وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	محمد، ليلى محمد
المجلد/العدد:	س 36, ع 412
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2000
الشهر:	أبريل / ذو الحجة
الصفحات:	18 - 19
رقم MD:	448539
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الحج، التربية الإسلامية، الثواب و العقاب، الوعظ و الارشاد
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/448539

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الآثار التربوية للحج

بقلم : ليلى محمد محمد

العبادة هي الطاعة والخضوع الطلق لله تعالى، وتشمل فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه ولهما معنيان:

أ - معنى عام: وهو كل عمل صالح بنية مرضاة الله تعالى.

ب - معنى خاص: يقتصر على العبادات التي فرضها الله علينا، وجعلها من أركان الإسلام الحنيف، قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

- أخرجه الشيخان والنسائي والترمذي من حديث ابن عمر -

وللعبادة - بحد ذاتها - أعظم أثر تربوي لأنها تبعث على الاستقامة، وتجعل العبد يقوى شعوره بمراقبة الله عز وجل، حتى يصل إلى درجة الإحسان التي أخبر عنها الرسول - ﷺ - بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» - أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة وعمر بن الخطاب -.

وعبادة الحج، تحتاج إلى سفر طويل ونفقات كثيرة، فإنها لم تفرض على غير المستطيعين لها، قال الله تعالى: (ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين) آل عمران:٩٧.

ويجب الحج على المستطيع مرة واحدة في العمر، فمن زاد على ذلك فهو تطوع يؤجر عليه، فقد سأل الأقرع بن حابس: يا رسول الله الحج في كل سنة أو مرة واحدة؟ قال: «بل مرة فمن زاد فهو تطوع» - رواه أبو داود والنسائي وأحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس.

وللحج أهم الآثار التربوية في النواحي الروحية والخلقية والاجتماعية:

١ - فهو كفارة للذنوب:

قال رسول الله - ﷺ - «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة.

وحين يضع المسلم ذنوبه عن كاهله فإنه يبتأنف حياة نظيفة لا يدنّسها بشيء من الخطايا، فتسمو نفسه درجات في سلم الكمال... وقال ابن عباس في الرفث والفسوق: «الرفث غشيان النساء والقبل والغمز، وأن يعرض لها بالفحش من الكلام، والفسوق المعاصي كلها». أما عن تفسير قوله «ولا جدال في الحج» فهو معنى يشتمل على الكثير من مفاهيم التربية الأخلاقية النفسية الدينة التي يتزود بها المسلم في رحلة الإيمان - الحج - وقد فسر ابن كثير الجدال فقال: «فيه قولان:

الأول: لا مجادلة في وقت الحج في مناسكه.

الثاني: المخاصمة».

وعن نافع أن ابن عمر كان يقول: «الجدال في الحج: السباب والمراء والخصومات».

٢ - ويؤدي الحج إلى ترسيخ الإيمان، وذلك بالطواف بأول بيت وضع لعبادة الله في الأرض، قال تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) آل عمران:٩١، كما أن الحاج يتذكر الجهود التي قام بها إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وهما يبنيان الكعبة: «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) البقرة: ١٢٧.

ويتذكر عزم إبراهيم على ذبح إسماعيل امتثالاً للرؤيا، ورضا الابن بذلك، فتهون عليه التضحية بماله، فينفقه في سبيل الله، ويتصدق على المحتاجين، وينحر الإبل ويذبح الأضاحي ليطعم الجائعين، ويصبح الولد باراً بأبيه ومطيعاً له في أصعب الأحوال وأشق الأعمال قال الله تعالى: (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) الصافات:١٠٢.

ثم يتذكر سيرة الرسول - ﷺ - في طفولته وشبابه حين يرى البقاع التي نشأ فيها، فيتصف بفضائله ويتخلق بأخلاقه، ويتذكر ما عاناه في سبيل الدعوة إلى الإسلام، فيتمسك بهذا الدين، ويصبح داعية إليه، ويضحي بنفسه لنصرته.

كما أن دوران المسلمين حول الكعبة، يرمز إلى أنهم مهما تقلبت بهم الحياة، ومهما تصرفوا في شؤونهم.. فإن محور تصرفاتهم

جميعاً يجب أن يكون دين الله تعالى، وقطب رحى حياتهم ينبغي أن يكون هو شرع الله جلت قدرته.. وحين يخلع الحاج ثيابه للإحرام، ويلبس ثوبين غير مخيطين، يتصور نفسه حين يموت وتنزع عنه ثيابه ويوضع في أكفانه، فيزهد في الدنيا، ويقبل على طاعة ربه.

ويلبي الحجيج نداء التوحيد «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وهذا تجرد تام من الحيوانية وطغيانها وظلمها وغرورها واستبدادها، واتحاد تام من الإنسانية في توجهها إلى خالقها.. فالكل أحرار متساوون، لأن الحمد لله وحده، لا يذل إنسان إنساناً، ولا يملك إنسان إنساناً.. ومعنى هذا أن الإنسانية متضافرة متآخية متعاونة.. فهي كالجيش العامل، نصيب أصغر فرد فيه متمم لنصيب أعظم فرد.

والمقبِّل للحجر - مع أنه لا يضر ولا ينفع - زيادة في احترام أمر الله عز وجل.. والحجر الأسود في الكعبة روح الأرض، وهو رمز لروح الخير في الحياة.. كما أنَّ في المرمى الذي يُرمى بالجمار رمزاً لروح الشر في الأرض، فروح الخير يقبل ويصافح، وروح الشر يُلعن ويُرجم... وفي السعي بين الصفا والمروة نشاط في العبادة، وتباعد عن الكسل، ويستحب السعي الشديد بين الميلين الأخضرين - والمرأة تمشي مشياً عادياً - وثبت أن السيدة هاجر - عليها السلام - لما تركها سيدنا إبراهيم - عليه السلام - اشتدَّ بها الظمأ، فأخذت تذهب إلى الصفا مرة لعلها تبصر بماء، وإلى المروة أخرى كذلك، فشرع الله جل جلاله السعي، ليذكرنا بآثار سلفنا الصالح.

قال الله جل ثناؤه: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ومن تطوَّع خيراً فإن الله شاكر عليم) البقرة ١٥٤ .

وفي موقف عرفات جهاد للحجاج.. كل حاج مشغول بعرض ما في خبيئة نفسه من الذنوب والآثام على ربه جلَّ وعلا.. ويتذكر الحجاج في عرفة تمام نعمة الإسلام على المسلمين، الذي أمر بإعداد العدة... قال الله جل ثناؤه: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة: ٣، وحجاج بيت الله الحرام يفيضون من عرفات إلى المزدلفة، ومنى... فالإسلام يعلم المسلم النظام في عبادة الحج، كما أن في رمي الجمرات حكمة تتعلق بالجهاد وهي أن اليد المؤمنة يجب أن تكون يداً ممرَّنة على أساليب الجهاد التي أهمها وأعظمها الرمي لإصابة الهدف... وكذلك في الهَدْي والأضحية التقرب إلى الله تعالى، والشكر لنعمة القيام بأعمال الحج... وفي ذبح الهدي إعلان من المسلم أنه إنسان لا تفزعه الحرب، ولا يهوله منظر الدماء، حين تجب إراقة الدم في سبيل العقيدة السامية.

قال رب العزة والجلال: (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خيرٌ فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون. لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) الحج: ٣٦ - ٣٧.

٣ - ويتعرض الحاج للمشاق في طريقه فيتعلم الصبر، ويحرم عليه في أثناء الإحرام حلق الشعر وتقليم الأظافر والطيب وصيد البر، فيتعلم الزهد والعفة، وينقطع للعبادة والتلبية.

كما يحرم عليه الكلام البذيء والتسبب في إيذاء الناس حتى بالجدال، قال الله تعالى: (الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) البقرة: ١٩٧.

وهذا يعلم المسلم الحلم ويعوده على طيب الكلام ومحاسن الأخلاق.

٤ - وتتجلى الآثار الاجتماعية في اجتماع أكبر عدد من المسلمين في مكان واحد، حيث تمحى الفوارق التي بينهم، ويتساوى الغني والفقير والشريف والوضيع... وتزول الشارات التي تميز بعضهم عن بعض، ثم يطوفون حول الكعبة المشرّفة باتجاه واحد، ويتجهون إليها في صلاتهم، فيعلمون أنهم أبناء أمة واحدة، وأنه لا يجوز أن يبقوا متفرقين، قال الله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء:٩٢.

والوقوف بعرفة أهم أركان الحج، والقصد من وقوف الجميع على صعيد واحد في يوم واحد أن يشعروا بالرابطة التي تجمعهم والقوة التي تنتج من وحدتهم، وأن يتعاونوا فيما بينهم، قال رسول الله - ﷺ -: «الحج يوم عرفة، من جاء قبل صلاة الصبح من ليلة جمع فتمَّ حجه» رواه أصحاب السنن من حديث عبدالرحمن بن يعمر الديلي، وليلة جمع: هي ليلة العاشر من ذي الحجة.

ولهذا كان الحج المبرور من أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد:

سئل النبي - ﷺ - أي العمل أفضل: قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة.

وخلاصة القول:

إن الحج مناسبة كبيرة، يتذاكر فيها المسلمون آلام الإنسانية، حيث ٢تتحقق في هذه المناسبة هذه الفريضة العظيمة من فرائض الإسلام... وعلى المؤمن الحاج، أن يتدرب على ضبط النفس وعدم الغضب، وأن يتجنب الإساءة للآخرين، وأن يترفع عن إثارة أخيه المؤمن، وأن يتمسك بسلامة أدائه للحج في أصوله ومناسكه وآدابه حين يقرأ قول رسول الله - ﷺ - «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

فرحلة الحج، توجه إلى الله عز وجل.. وخروج من الديار ومفارقة للأهل، وزهد في الدنيا، وإقبال على الآخرة... والحج ركن من أركان الإسلام الخمسة... حيث تنشئ الإنسان المعتدل المتوازن في تصوره وسلوكه، الذي يعطي كل جانب من جسمه وعقله وروحه حقه، ويعمل لدنياه وآخرته... وكما تقدم، لا يمكن للتربية أن تكون متكاملة وتؤتي ثمارها ما لم تعتمد على العبادة «الحج، الصلاة... إلخ» ففي المقام الأول بعد الإيمان، العبادة، الحج، لما لها من أثر تربوي، لأنها تبعث على الاستقامة. ■

المراجع :

- الحج في الإسلام - محمد الفقي - مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر - مصر - ط١٣٩٢هـ.
- الحج المبرور - أحكام وأسرار - د. عبدالحليم محمود ط ١٩٧١م.
- بعض أعداد من مجلة «نهج الإسلام» دمشق - وزارة الأوقاف.